Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأخفش الأكبر الذى عاصر الطبقة الأولى منهم وفى عهده شجر الخلاف بينهم؟ أم هو الأخفش الأصغر رضيع الثديين وربيب المذهبين؟ إن العقل لا يمنع من إرادة أحدهما، ولا غضاضة فى أن يحتضن أبو الخطاب مذهبًا ناشئًا ويحنو على رجاله «حنو المرضعات على الفطيم» حتى يستحكم فتله ويسير على قدميه، وهل يأبى الخطاب من عار فى أن يشافه الأعراب، ثم يرى مذهبًا صنع على عينيه وشب بين يديه قلما بلغ أشده واستوى وافقه فى مواطن، إن ذلك لا يقدح فى مشافهته قرب مُبَلِّغ أوعى من سامع.

ولا ضير على الأخفش الأصغر أن يصطفى من أقوال العلماء ما يشاء وقد درس على شيخى الحزبين وشهد إدراك المذهبين.

أجل أنه جار للعقل أن يحكم لتردد حكمه بين الأكبر والأصغر من الثلاثة، أما الأوسط بسبب اتصاله الوثيق بسيبويه الذى بزَّ بكتابه البصريين أجمعين، وقد كان من ضن سعيد بالكتاب وحرصه عليه ما أشرت إليه فيبعد بمقتضى حكم العقل أن يكون ذلك الذى وافق الكوفيين، ولكن العقل وحده ليس فيصلاً فى هذا الموضوع؛ لأنه فى أعلى مراتبه محكوم عليه بالعجز مقضى عليه بالإفلاس، وللتاريخ حكمه البالغ، وفيه فصل الخطاب، وهو يقول: إن سيبويه رجع من بغداد غضبان أسفًا لما خذل فى المناظرة المشهورة؛ فعز ذلك على سعيد بن مسعدة وأسرَّها فى نفسه للكسائى، ثم يمم شطره وصلى وراءه الفجر ببغداد وصمَّم على أن يثأر لشيخه منه، فأمطره وابلاً من الأسئلة المعضلة المشكلة أمام تلاميذه وخطأه فى أجوبته، مما أحفظ عليه التلاميذ فهموا بالفتك به لولا أن نهاهم الكسائى ـ الذى تبينه ـ ثم أكرمه ونعَّمه وجعله مؤدب أولاده، فعاش فى كنفه بقية عمره، وأسرَّ إليه قراءة كتاب سيبويه، فتغير مجرى حياته حينئذ، وانقلبت عداوته للكسائى مودة ورحمة، فوافق الكوفيين فى كثير من آرائهم، فهو المقصود هنا وعند الإطلاق.

***